

(ذكر) أن المتوكل بن الأفظس فرأيه شخص من بني هود مغاضبا لابن ٤٤ مملوك سرفسطة فأواه وأحسن إليه ثم اختبره فرآه أهلا للولاية فولاه فقال له أحد وزرائه كثير هذا في تغيير قلب قريبه يا مولاي تسخط قادراني حق عاجز وتفرط فيمن تحتاج إليه كما يحتاج اليها وتغيب عن الاحتياج إليه بل هو موكل علينا فقال له المتوكل الذي قلت حق ولكن كيف يكون اقتناء المكارم (روى) أن أنوشروان غضب على وزيره بزر جهر فسجنه في بيت كالقبر وصغده بالحديد وألبسه الحشن من الصوف وأمر أن لا يراذ في كل يومين على قرصين من الخبز وكف ملح جريش ودورق ماء وأن تتقل ألفاظه إليه فأقام شهورا لا تسمع له لفظة فقال أنوشروان ادخلوا عليه أصحابه وأمر وهم أن يسألوه ويفاتحوه الكلام وعرفونه فدخل إليه جماعة من المختصين به فقالوا له أيها الحكيم نراك في هذا الضيق والحديد والسندقة التي دفعت إليها ومع هذا فإن سخنة وجهك وصحة جسمك على حالها لم تتغير فالسبب في ذلك فقال اني ٤٤ مت جوارش من ستة أخلاط فأخدمته كل يوم شيأ فهو الذي أبقاني على ماترون فقالوا لفاصفه لنا فعمسى أن يتلى عمل بالوالد أو أحد من اخواننا فاستعمله أو نصفه له فقال الخليلط الاول الثقة بالله والثاني أن كل مدة ركائز والثالث الصبر خير ما استعمله المتجن والرابع ان لم أصبر فأى شئ أعمل ولم أعن على نفسي بالجزع والخامس قد يمكن أن أكون في شر أصعب مما أنا فيه والسادس من ساعة الى ساعة فرج . (من كتاب عين الادب والسياسة)

## (الباب الثاني في الاخلاق)

(فصل) في مجانبة الكبر والاعجاب لانهما يسلبان الفضائل ويكسبان الرذائل وليس لمن استولى عليه اصغاه لتصح ولا قبول لتأديب لان الكبر يكون المنزلة والمعجب يكون بالفضيلة فالتكبر يجلب نفسه عن رتبة المتعلمين والمعجب يستكثر فضله عن استزادة المتأديبين فلذلك وجب تقديم القول فيهما بايانه ما يكسبانه من ذم ويوجبانه من لوم (فنعول) أما الكبر فيكسب المقت ويلهى عن التألف ويوغر صدور الاخوان وحسبك بذلك سوءا ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم لعنه العباس أنهمك عن الشرك بالله والكبر فان الله يحجب منهما وقال ازديشيرين بابك ما الكبر الا فضل حق لم يدر صاحبه أين يذهب به فيصرفه الى الكبر وحكى أن مطرف بن عبد الله بن الشخير نظر الى المهلب بن أبي صفرة وعليه حلة يسحبها ويمشى الخيلاء فقال يا أبا عبد الله ما هذه المشية التي يغضها الله ورسوله فقال المهلب أما تعرفني فقال بل أعرفك أولك نطفة مدرة وأخرك جيفة قدرة وحشولة فيما بين ذلك بول وعذرة فأخذ ابن عوف هذا الكلام فنظمه شعرا فقال

عجبت من معجب بصورته \* وكان بالامس نطفة مدرة  
وفي غد بعد حسن صورته \* يصير في اللحد جيفة قدرة  
وهو على تيممه ونخوته \* ما بين ثوبيه يحمل العذرة

وقد كان المهلب أفضل من أن يمدح نفسه بهذا الجواب الغير الصواب ولكنه اهزله من زلات  
الاسترسال وخطيئة من خطايا الادلال فاما الحق انصرح والجهل القبيح فهو ما حكي عن نافع  
ابن جبير بن مطعم أنه جلس في حلقة العلاء بن عبد الرحمن الحزقي وهو يترى الناس فلما فرغ قال  
أتدرون لم جلست اليكم قالوا جلست لتسمع قال لا ولكني أردت أن أوضاع الله بالجلوس اليكم  
فهل يرجى من هذا فضل أو ينفع فيه عدل وقد قال ابن المعتز لما عرف أهل الفتى ص حالهم عند  
ذوى الكمال استعانوا بالكبير لعظم صغيرا ويرفع حقيرا وليس بفاعل وأما الاعجاب فيجني المحاسن  
ويظهر المساوى ويكسب المذام ويصد عن الفضائل وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال  
ار العجب ايا كل الحسنات كما تأكل النار الحطب وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه الاعجاب  
ضد الصواب وافة الالباب وقال بزرجهر النعمة التي لا يحسد صاحبها عليها التواضع والبلاء  
الذي لا يرحم صاحبه منه العجب وقال بعض الحكماء عجب المرء بنفسه أحد حساد عقله وليس الى  
ما يكسبه الكبير من المقت حد ولا الى ما ينتهي اليه العجب من الجهل غاية حتى انه ليطفى من المحاسن  
ما انتشر ويسلب من الفضائل ما اشتمر وناهيك بسيئة تحبط كل حسنة وبمذمة تهدم كل فضيلة  
مع ما يشهد من حنق ويكسبه من حقد حكي عمر بن حفص قال قيل للحجاج كيف وجدت  
منزلك بالعراق قال خير منزل لو كان الله بلغني قتل أربعة فتقربت اليه بمائهم ولما ولي مقاتل  
ابن مسعود سجستان أتاه الناس فأعطاهم الاموال فلما عزل دخل مسجد البصرة فبسط الناس له  
أرديتهم فشى عليها وقال لرجل يماشيه مثل هذا فليعمل العاملون وعبد الله بن زياد بن ظبيان التيمي  
لما خوف أهل البصرة أمره فخطب خطبة أو جز فيها فنادى الناس من أعراض المسجد أكثر الله  
فينا مثلك فقال لقد كافتم الله شططا ومعبدين زراعة كان ذات يوم جالسا في طريق فمرت به امرأة  
فقال له يا عبد الله كيف الطريق الى موضع كذا فقال يا غناء مثلي يكون من عبدا لله وأبو شمائل  
الاسدي أضل راحلة فالتسمها الناس فلم يجدوها فقال والله ان لم يرد الى راحتي لاصابت له صلاة  
أبدا فالتسمها الناس فوجدوها فقالوا له قدر الله راحلتك فصل فقال ان عيني عين مصر فانظر الى  
هؤلاء وكيف أفضى بهم العجب الى حرق صاروا به نكالا في الاولين ومثلا في الآخريين ولو تصور  
المعجب المتكبر ما فطر عليه من جبلة ويلي به من مهنة تخفض جناح نفسه واستبدل لينان عتوه  
وسكونا من نفوره وقال الاحنف بن قيس عجبت ان جرى في مجرى البول مرتين كيف يتكبر وقد  
وصف بعض الشعراء الانسان فقال

يا مظهر الكبر عجايبا بصورته \* أتظر خللاك فان التنن تثرىب  
لو فكر الناس فيما فى بطونهم \* ما استشعر الكبر شبان ولا شب  
هل فى ابن آدم مثل الرأس مكرمة \* وهو بخمس من الاقدار مضروب  
أنف بسيل واذن ريجها مهنك \* والعين مرفضة والنغر ملعوب  
يا ابن التراب وما كول التراب غدا \* أقصر فانك ما كول ومشروب

وأحق من كان للكبر مجانبا وللأعجاب مبانبا من جل فى الدنيا قدره وعظم فيها خطره لانه قد يستقل  
بعالى همنه كل كثير ويستصفر معها كل كبير وقال محمد بن على لا ينبغى لأشريف أن يرى شيئا  
من الدنيا لنفسه خطيرا فيكون بها تائها وقال ابن السماله لعيسى بن موسى لو أضعك فى شرفك  
أشرف لك من شرفك وكان يقال اسمان متضادان معنى واحد التواضع والشرف وللأعجاب أسباب  
مخفى أقوى أسبابه علواليد ونفوذ الامر وقلة مخالطة الاكفاء وحكى أن قوما شوا خلف على  
ابن أبى طالب رضى الله عنه فقال ابعده واعنى خفى نعمالكم فانها مفسدة لقلوب نوكى الرجال وشوا  
خلف ابن مسعود فقال ارجع وافانم اذلة للتابع وقتنة للتبوع وروى قيس بن حازم أن رجلا أتى به  
للنبي صلى الله عليه وسلم فاصابته رعدة فقال له صلى الله عليه وسلم هون عليك فانما أنا ابن امرأة  
كانت تأكل القديد وانما قال ذلك صلى الله عليه وسلم حسما لمواد الكبر وقطعا لذرائع الإعجاب  
وكسرا لاشرا النفس وتذليلا لسطوة الاستعلاء ومثل ذلك ما روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه  
أنه نادى الصلاة جامعة فلما اجتمع الناس صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله  
عليه وسلم ثم قال أيها الناس لقد رأيتنى أرى على حالاتى من بنى مخزوم فيقبضن لى القبضة  
من التمر والزبيب فاضل اليوم وأى يوم فقال له عبد الرحمن بن عوف والله يا أمير المؤمنين ما زدت على  
أن فصرت بنفسك فقال عمر رضى الله عنه ويحك يا ابن عوف انى خلوت فحدثتنى نفسى فقالت  
أنت أمير المؤمنين فمن ذا أفضل منك فاردت أن أعرفها انفسها وللأعجاب أسباب مخفى أقوى أسبابه  
كثرة مدح المتقربين واطراء المتأقين الذين جعلوا النفاق عادة ومكسبا والتلق خديعة وملعبا  
فاذا وجدوه مقبولين فى العقول الضعيفة أغروا أربابها باعتقاد كذبهم وجعلوا ذلك ذريعة الى  
الاستزاء بهم وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سمع رجلا يزكى رجلا فقال له قطعت معطاه  
لوسهها ما أفلح بعدها وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه المدح ذبح وقال ابن المقفع قابل المدح  
كمادح نفسه وقال بعض الحكماء من رضى أن يدح بما ليس فيه فقد أمكن الساخر منه  
وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اياكم والتادح فانه الذبيح ان كان أحدكم مادحا أخاه  
لا محالة فليقل أحسب ولا أزكى على الله أحدا وقيل فيما أنزل الله عز وجل من الكتب السالفة

عجبت لمن قبل فيه الخير وليس فيه كيف يفرح وعجبت لمن قبل فيه الشر وهو فيه كيف يغضب  
وقال بعض الشعراء

يا جاهلا غره افراط مادحه \* لا يغلبن جهل من أطر الذمك بك  
أثنى وقال بلا علم أحاط به \* وأنت أعلم بالتحصيل من ريك

وهذا امر ينبغى للعاقل أن يضبط نفسه عن أن يستفزها ويمنعها من تصديق المدح لها فان للنفس  
ميل إلى الثناء وسماع المدح وقال الشاعر

يهوى الثناء مبرز ومقصر \* حب الثناء طبيعة الانسان

فاذا سماع نفسه في مدح الصبوة وتابعها على هذه الشهوة تشاغل بها عن الفضائل المدوحة ولها بها  
عن المحاسن المنوحة فصار الظاهر من مدحه كذبا والباطن من ذمه صدقا وعند تقابلها ما يكون  
الصدق ألزم الامرين وهذه خدعة لا يرتضها عاقل ولا يتخذ بها ميمز ويعلم أن المتقرب بالمدح  
يسرف مع القبول ويكف مع الالباء فلا يغلبه حسن الظن على تصديق مدح هو أعرف بحقيقته  
وليكن تهمة المدح أغلب عليه فقل مدح كان جميعه صدقا وقل ثناء كان كله حقا ولذلك كره  
أهل الفضل أن يطلقوا ألسنتهم بالثناء والمدح تحرزوا من التجاوز فيه وتنزيها عن التعلق به وقد  
روى مكحول قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تكونوا عيايين ولا تكونوا اعمانيين ولا متماديين  
ولا امتاوتين وحكى الاصمعي أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه كان اذا مدح قال اللهم أنت أعلم بي  
من نفسي وأنا أعلم بنفسى منهم اللهم اجعلنى خيرا مما يحسبون واغفر لى ما لا يعلمون ولا تؤاخذنى  
بما يقولون وقال بعض الشعراء

اذا المرء لم يدحه حسن فعاله \* فادحه يهذى وان كان مفصحا

وربما آل حب المدح بصاحبه الى أن يصير مدح نفسه اماله وهمة أن الناس قد غفلوا عن فضله وأخلوا  
بحقه واما الخدعهم بتدليس نفسه بالمدح والاطراء فيعتقدون أن قوله حق متبع وصدق مستمع  
واما التاذبه بسماع الثناء وسرور نفسه بالمدح والاطراء كما يتغنى بنفسه طربا اذا لم يسمع صوتا  
مطربا ولا غناء ممتعا ولاى ذلك كان فهو الجاهل الصريح والنقص الفضيح وقد قال بعض الشعراء

وما شرف أن يمدح المرء نفسه \* ولكن أعماله تدم وتمدح

وما كل حين يصدق المرء ظنه \* ولا كل أصحاب التجارة يربح

ولا كل من ترجو لغيرك حافظ \* ولا كل من ضم الوديعه يصلح

وينبغى للعاقل أن يسترشد اخوان الصدق الذين هم أصفياها القلوب ومرايا المحاسن والعيوب  
على ما بينهم ونه عليه من مساويه التي سرفه حسن الظن عنها فانهم أمكن نظرا وأسلم فكرا

ويجعلون ما ينهونه عليه من مساويه عوضا عن تصديق المدح فيه وقد روى أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال المؤمن مرآة المؤمن إذا رأى فيه عيبا أصلحه وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول رحم الله امرأ أهدى الينامسا وينا وقيل لبعض الحكماء أحب أن تهدي اليك عيوبك قال نعم من ناصح ومما يقارب معنى هذا القول ما روى عن عمر رضي الله عنه أنه قال لابن عباس رضي الله عنهما من ترى أن نولي به حص فقال رجلا صحيا منك صحيا لك قال تكون أنت ذلك الرجل قال لا تتفع في مع سوء ظني بك وسوء ظنك بي وقيل في منشور الحكم من أظهر عيب نفسه فقد زكاهما فإذا قطع أسباب الكبر وحسم مواد العجب اعتاض بالكبر تواضعا وبالعجب توددا وذلك من أوكد أسباب الكرامة وأقوى مواد النعم وأبلغ شافع إلى القلوب يعطفها إلى المحبة ويثنيها عن البغض وقال بعض الحكماء من برئ من ثلاث نال ثلاثا من برئ من السرف نال العز ومن برئ من البخل نال الشرف ومن برئ من الكبر نال الكرامة وقال مصعب بن الزبير التواضع مصائد الشرف وقيل في منشور الحكم من دام تواضعه كثر صديقه وقد تحدث المنازل والولايات لقوم اخلاقا مذمومة يظهرها سوء طباعهم ولا تحرين فضائل محمودة يعث عليهم ازكاشيهم لان لتقلب الاحوال سكرة تظهر من الاخلاق مكنونها ومن السرائر مخزونها لاسيما اذا هجمت من غير تدريج وطرق من غير تأهب وقد قال بعض الحكماء في تقلب الاحوال تعرف جواهر الرجال وقال الفضل بن سهل من كانت ولايته فوق قدره تكبرها ومن كانت ولايته دون قدره تواضع لها وقال بعض البلغاء الناس في الولاية رجلان رجل يجبل عن العمل بفضله ومروءته ورجل يجبل بالعمل لنقصه ودناءته فمن جمل عن عمله ازداد به تواضعا وبشرا ومن جمل عنه عمله ازداد به تجبرا وتكبرا

(فصل في حسن الخلق) روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الله تعالى اختار لكم الاسلام ديناً فأكرموه بحسن الخلق والسخاء فإنه لا يكمل الا بهما وقال الاحنف بن قيس ألا أخبركم بادواء الداء قالوا بلى قال الخلق اللذي واللسان البذي وقال بعض الحكماء من ساء خلقه ضاق رزقه وعلة هذا القول ظاعرة وقال بعض البلغاء الحسن الخلق من نفسه في راحة والناس منه في سلامة والسي الخلق الناس منه في بلاء وهو من نفسه في عناء وقال بعض الحكماء عاشر أهلك باحسن أخلاقك فان الشواء فيهم قليل وقال بعض الشعراء

إذا لم تتسع أخلاق قوم \* تضيق بهم فسيحات البلاد

إذا ما المرء لم يخلق ليبيبا \* فليس اللب عن قدم الولاد

فاذا حسنت أخلاق الانسان كثر مصافوه وقل معادوه فتسهلت عليه الامور الصعاب ولانت له القلوب الغضاب وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال حسن الخلق وحسن الجوار يهران الديار ويريدان في الاعمار وقال بعض الحكماء من سعة الاخلاق كنوز الارزاق وسبب ذلك ما ذكرنا من كثرة الاصفياء المسعدين وقلة الاعداء المجحفين ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم أحبكم الى أحسنكم أخلاقا الموطون أ كفا الذين بالقون ويؤلقون وحسن الخلق أن يكون سهل المعريكة لين الخائب طليق الوجه قليل النفور طيب الكلمة وفدين رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاوصاف فقال أهل الجنة كل حين لين سهل طليق ولما ذكرنا من هذه الاوصاف حدوده مقدرة ومواقع مستحقة كما قال الشاعر

أصفوا وأكدرأحيانا المختبري \* وليس مستحسنا صقولا كدر

وليس يريد بالكدر الذي هو البذاء وشراسة الخلق فان ذلك لا يستحسن وعيب لا يراضى وانما يريد الكف والاتقياض في موضع يلام فيه المساعد ويذم فيه الموافق فاذا كانت لمحاسن الاخلاق حدوده مقدرة ومواقع مستحقة فان تجاوزها الحد صارت ملقا وان عدل بها عن مواضعها صارت نفاقا والنفاق لؤم وليس لمن وسم به ما وده مبرور ولا أثم مشكور وقد روى حكيم عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أشرا الناس ذوا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه وروى مكحول عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لذي الوجهين أن يكون وجهه عند الله تعالى وقال سعيد بن عروة لان يكون لى نصف وجه ونصف لسان على ما فهمنا من قبح المنظر وعجز الخبر أحب الى من أن أكون ذوا وجهين وذو لسانين وذو قولين مختلفين وقال الشاعر

خل النفاق لاهله \* وعليك فالتمس الطريقة

وارغب بنفسك أن ترى \* الاعدوا أو صديقا

وقال ابراهيم بن محمد

وكم من صديق وده بلسانه \* خون بظهر الغيب لآية ذم

يضاحكنى عجا اذا مالقته \* ويصدقني منه اذا غبت أسهم

كذلك ذوا الوجهين يرضيك شاهدا \* وفي غيبه ان غاب صاب وعلقم

وربما تغير حسن الخلق والوطاء الى الشراسة والبذاء لاسباب عارضة وأمور طارئة تجعل المدين خشونة والوطاء غلظة والطلاقة عبوسا فمن أسباب ذلك الولاية التي تحدث في الاخلاق تغيرا وعلى الخطاء تنكرا إما من لؤم طبع وإما من ضيق صدر وقد قيل من تاه في ولايته ذل في عزله

وقيل ذل العزل يصحك من تبه الولاية ومنها العزل فقد يسوء به الخلق ويضيق به الصدر لما لشدة  
أسف أولفله صبر حكى جيد الطويل أن عامر بن ياسر عزل عن ولاية فاشتد ذلك عليه وقال انى  
وجدتها حلوة الرضاع مرة الفطام ومنها الغنى فقد تغير به أخلاق اللثيم بطرا وتسوء طرائقه  
أشرا وقد قيل من نال استظال وأنشد الرياشى

غضبان يعلم أن المال ساق له \* ما لم يسقه له دين ولا خلق  
فمن يكن عن كرام الناس يسألنى \* فاكرم الناس من كانت له ورق

وقال بعض الشعراء

فان تكن الدنيا أنالك ثروة \* فاصبحت ذا يسر وقد كنت ذاعسر  
لقد كشف الأثرء منك خلائقا \* من اللؤم كانت تحت ثوب من الفقر

وبحسب ما أفسده الغنى كذلك يصلحه الفقر وكتب قتيبة بن مسلم الى الخجاج أن أهل الشام قد  
التأوا عليه فكتب اليه أن اقطع عنهم الارزاق ففعل فسأدت حالهم فاجتمعوا اليه فقالوا أقلنا  
فكتب الى الخجاج فيهم فكتب اليه ان كنت أنت منهم رشدا فأجر عليهم ما كنت تجرى واعلم  
أن الفقر جند الله الا كبر يذله به كل جبار عنيد يتكبر وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه  
قال لو أن الله تعالى أذل ابن آدم بثلاث ما أطأ رأسه لشيء الفقر والمرض والموت ومنها الفقر  
فقد يتغير به الخلق إما أنفة من ذل الاستكانة أو أسفا على فائت الغنى ولذلك قال النبي صلى الله  
عليه وسلم كذا الفقر أن يكون كفرا وكذا الحسد أن يغلب القدر وقال أبو تمام الطائي

وأعجب حالات ابن آدم خلقه \* يضل اذا فكرت في كنهه الفكر  
فيفرح بالشيء القليل بقاؤه \* ويجزع مما صار وهو له ذخر

وربما تسلى من هذه الحالة بالامانى وان قل صدقها فقد قيل فلما صدق الامنية ولكن قد يعتاض  
بها سلوة من هم أو مسرة برجاء وقد قال أبو العتاهية

حرل مناك اذا اغتممت \* فانهن مراوح

وقال آخر

اذا غنيت بت الليل مغتبطا \* ان المنى رأس أموال المقاليس

ومنها الهموم التى تذهل اللب وتشغل القلب فلا تتبع الاحتمال ولا تقوى على صبر وقد قيل  
الهم كالسهم وقال بعض الادباء الحزن كالذء المنخزون فى فؤاد المنخزون وقال بعض الشعراء

همومك بالعيش مقرونة \* فما تقطع العيش الا بهم  
اذا تم أمر بدينقصه \* ترقب زوالا اذا قيل تم  
اذا كنت فى نعمة فارعها \* فان المعاصى تزيل النوم

وحام عليها بشكر الاله \* فان الاله سريع النقم  
حلاوة دنيالك مسومة \* فماتأكل الشهدا لابس  
فكم قدردب في مهلة \* فلم يعلم الناس حتى هجم

ومنها الامراض التي يتغير بها الطبع كما يتغير بها الجسم فلا تبقى الاخلاق على اعتدال ولا يقدر  
معها على احتمال وقد قال المتنبي

آلة العيش صحة وشباب \* فاذا وليا عن المرء ولي  
واذا الشيخ قال اف فما مل حياة وانما الضعف ملا  
واذا لم تجد من الناس كفوًا \* ذات خدر أرادت الموت بعلا  
أبدا تسترد ما تهب الدنيا فيا لبت جودها كان بخلا

ومنها علو السن وحدوث الهرم لتأثيره في آلة الجسد كذلك يكون تأثيره في أخلاق النفس فكم  
يضعف الجسد عن احتمال ما كان يطيقه من أثقال فكذلك تعجز النفس عن ائقال ما كانت  
تصبر عليه من مخالفة الوفاق ومضيق الشقاق وكذلك ماضاهاه وقال منصور الغمري

ما كنت أوفي شبابي كنه عزته \* حتى مضى فاذا الدنيا له تبع  
أصبحت لم تطعمي نكل الشباب ولم \* نشجي لغصته فالعذر لا يقع  
ما كان أقصر أيام الشباب وما \* أبقى حلاوة ذكراه التي تدع  
ما واجه الشيب من عين وان رمقت \* الاله انبوة عنسه ومر تدع  
قد كدت تقضى على فوت الشباب أسي \* لولا يعزريك أن العر منقطع

فهذه سبعة أسباب أحدثت سوء خلق كان عاما وههنا سبب خاص يحدث سوء خلق خاص وهو  
البغض الذي تنفر منه النفس فتحدث نفورا على البغض فيؤول الى سوء خلق يخصه دون غيره  
فاذا كان سوء الخلق حادثا بسبب كان زواله مقرونا بزوال ذلك السبب ثم بالصد

(فصل في كتمان السر) اعلم أن كتمان الاسرار من أقوى أسباب النجاح وأدوم أحوال الصلاح  
روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال استعينوا على الحاجات بالكتمان فان كل ذي نعمة محسود  
وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه سر ك أسيرك فان تكلمت به صرت أسيره وقال بعض الحكماء  
لابسه يابني كن جوادا بالمال في موضع الحق ضمتنا بالاسرار عن جميع الخلق فان أجد جود المرء  
الانفاق في وجه البر والنجل بمكثوم السر وقال بعض الاديباء من كتم سره كان الخيار اليه ومن  
أفشاء كان الخيار عليه وقال بعض البلغاء ما أسرك ما كتمت سره وقال بعض النصحاء ما لم  
تغيبه الاضالع فهو مكشوف ضائع وقال بعض الشعراء وهو أنس بن أسيد

ولا نقش سرنا الا اليك \* فان لكل نصيح نصيحا  
فاني رأيت وشاة الرجا \* لا يتركون أديبا صحيفا

وكم من أظهر سر أراقدم صاحبه ومنع من نيل مطالبه ولو كتمه كان من سطوته أمنا وفي عواقبه  
سالما ولنجاح حوائج راجيا وقال أنوشروان من حصن سره فله تحصينه خصلتان الظفر  
بجاحته والسلامة من السطوات وأظهار الرجل سر غيره أقبح من اظهار سر نفسه لانه يسوء  
باحدى وصتين الحيانة ان كان مؤتمنا أو التهمة ان كان مستودعا فاما الضرر فربما استويا فيه  
وتفاضلا وكلاهما مذموم وهو فيه ما لا يؤم وفي الا- سترسال بايذاء السر دلائل على ثلاثة أحوال  
مذمومة احدها ضيق الصدر وقلة الصبر حتى انه لم يتسع لسر ولم يقدر على صبر وقال الشاعر

اذا المرء أفشى سره بلسانه \* ولا م عليه غيره فهو أحمق  
اذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه \* فصدر الذي يستودع السر أضيق

والثانية الغفلة عن تحذر العقلاء والسهموعن يقظة الأذكياء وقد قال بعض الحكماء ان فرد بسرك  
ولا يودعه حازما يزل ولا جاهلا فيخون والثالثة ما ارتكبه من الغدر واستعمله من الخطر وقد قال  
بعض الحكماء سرنا من دمك فاذا تكلمت به فقد أرتقتة واعلم أن من الاسرار ما لا يستغنى فيه  
عن مطالعة صديق مساهم واستشارة ناصح مسالم فليحذر العاقل لسره أمينا ان لم يجد الى كتمه  
سبيلا وليحذر في اختيار من يأتمنه عليه ويستودعه اياه فليس كل من كان على الاموال أمينا  
كان على الاسرار مؤتمنا والعفة عن الاموال أيسر من العفة عن اذاعة الاسرار لان الانسان  
قد يذيع سر نفسه بمبادرة لسانه وسقط كلامه ويشج باليسير من ماله حفظه وضمانه ولا يرى  
ما أذاع من سره كبيرا في جنب ما حفظه من يسير ماله مع عظم الضرر الداخلى عليه فمن أجل ذلك  
كان أمناء الاسرار أشد تعذرا وأقل وجودا من أمناء الاموال وكان حفظ المال أيسر من كتم  
الاسرار لان أحرار الاموال منيعه وأحرار الاسرار بارزة يذيعها لسان ناطق ويشيعها كلام سابق  
وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه القلوب أوعية الاسرار والشفاة أفعالها واللسن مفااتيحها  
فليحفظ كل امرئ مفتاح سره ومن صفات أمين السر أن يكون ذاعقل صاد ودين حازم ونصح  
مبسذول وود موفور وكتوما بالطبع فان هذه الامور تمنع من الاذاعة ويوجب حفظ الامانة  
فمن كتمت فيه فهو عنقاء مغرب وقيل في منشور الحكم قلوب العقلاء حصون الاسرار وليحذر  
صاحب السر أن يودع سره من يتطلع اليه ويؤثر الوقوف عليه فان طالب الوديعه حاش وقيل  
في منشور الحكم لا تنكح خاطب سرنا وقال صالح بن عبد القدوس

لا تدع سرا الى طالبه \* منك فالطالب للسر مذيع

وأيضا كثرة المستودعين لسره فان كثرتهم سبب الاذاعة وطريق الى الاشاعة لامر من أحدهما ان اجتماع هذه الشرع في العدد الكثير معوز ولا بد اذا كثروا من أن يكون فيهم من أدخل بعضها والثاني أن كل واحد منهم يجد سبيلا الى نفي الاذاعة عن نفسه واحالة ذلك على غيره فلا يضاف اليه ذنب ولا يتوجه عليه عتب وقد قال بعض الحكماء كلما كثرت خزان الاسرار ازدادت ضياعا وقال بعض الشعراء

وسرك ما كان عند امرئ \* وسر الثلاثة غير الخفي

وقال آخر فلا تنطق بسر كل سر \* اذا ما جاوز الاثنين فاشي

ثم لو سلم من اذاعتهم لم يسلم من ادلالهم واستطالهم فان لن ظفر بسر من فرط الادلال وكثرة الاستطالة ما ان لم يحجزه عنه عقل ولم يكفه عنه فضل كان أشد من ذل الرق وخضوع العبد وقد قال بعض الحكماء من أفشى سره كثر عليه المتآمرون فاذا اختار وأرجوا أن يوفق للاختيار واضطر الى استيداع سر دوليته كنى الاضطرار وجب على المستودع له أداء الامانة فيه بالتحفظ والتسامى له حتى لا يخطر له ببال ولا يدور له في خلد ثم يرى ذلك حرمة رعاها ولا يدل ادلال اللثام وحكى أن رجلا أسر الى صديق له حديثا ثم قال أفهمت قال بل جهلت قال أحفظت قال بل نسيت وقبل لرجل كيف كتمانك للسرق قال أبجد اخبر وأحلف للسخبير وقال بعض الشعراء

ولو قدرت على نسيان ما شئت \* منه الضلوع على الاسرار والخبر

لكنت أول من ينسى سرأثره \* اذ كنت من سره يوما على خطر

وحكى أن عبدا لله بن طاهر تناكر الناس في مجلسه حفظ السر فقال ابنه

ومستودعي سرا تهمت سره \* فاودعته من مستقر الحشى قبرا

ولكننى أخفيه عنى كاتفى \* من الدهر يوما ما احطت به خبرا

وما السر في قلبى كيت بحفرة \* لانى أرى المدفون ينظر النشرا

(لابى الحسن البصرى الماوردى)

## الباب الرابع فى المباحث الادبيه

(فى أن العلوم انما تكثر حيث يكتر العمران وتعمم الحضارة)

والسبب فى ذلك أن تعاليم العلم كما قدمناه من جملة الصنائع وقد كنا قدمنا أن الصنائع انما تكثر فى الامصار وعلى نسبة عمراتها فى الكثرة والقلبة والحضارة والترف تكون نسبة الصنائع فى الجوده والكثرة لانه أمر زائد على المعاش فتنى فضلت أعمال أهل العمران عن معاشهم انصرفت الى ما وراء المعاش من التصرف فى خاصية الانسان وهى العلوم والصنائع ومن تشوف بفطرته الى